غريب اللغة فى الميزان

للأستاذ عبد القادر المغربى

من مشاكل الحياة ما لا يمكن حلّه ، أو لا يرضى الناس أن يتلقوا حلّه من شخص واحد مهما علت منزلته فى العلم والفضل لما يصادم ذلك من التحزب الرأي ، والمنافسات بين المتنازعين ، حتى ينزلوا أخيراً على حكم الجماعات التى لا تجد النفوس (غالباً) حرجاً من التسليم لها والرضى بحكمها

ومن هذا القبيل مشكلة إيجاد كلمات جديدة نحتاج إليها فى نهضتنا الحديثة ، سواء أكانت تلك الكلمات أعجمية الأصل ، أو عربية لكنها غير مأنوسة الاستعمال ، فان ضجيج النزاع يشتد حول تلك الكلمات ويَرَي كل من المتنازعين أن يُحكّم ذوقه غالباً ، وعلمه أحياناً ، فى قبول هذه الكلمة ، وعدم قبول تلك .

والتشاؤم بكلمات اللغة يرجع فى الأعم الأغلب إلى أمور أربعة :

١ — كون الكلمة من أصل أعجمى أو عامى

٢ — كون الكلمة غريبة غير مأنوسة الاستعمال

٣ — كون الكلمة مأنوسة المعنى مكروهة اللفظ ككلمة (ضيزى)

٤ — كون الكلمة على العكس مأنوسة اللفظ لكنها مكروهة المعنى كالكلمات الدالة على ما يستحى من ذكره

ويهمنا من هذه الأقسام القسم الثانى : وهو كون الكلمة غريبة لا يُعنى بها إلا المتخصصون فى اللغة لكن استجدّ فى لغة حياتنا اليومية فراغ لا يسده إلا بعض تلك الكلمات الغريبة ، فكيف نصنع ؟ هل نستعملها غير مبالين أذواق القراء ؟ أو نهجرها غير مبالين إهمال مصدر من مصادر تنمية اللغة ، ولا تعطيل معدن تستخرج من شذراته مادة لتلك اللغة التى يخشى أن تقضى عليها الألفاظ الأعجمية

وعندى أن ليس كل غريب اللغة مما يحسن هجرانه وترك الانتفاع به ، بل إن من كلماته ما استجمع شروط الفصاحة وإنما يعوزه الاستعمال فيُستقل ويصبح مأنوساً مألوفاً

ومرادى بالغريب هنا ما يجهله عامة متأدبى هذه الأيام . فهذا ما نريد أن نردد القول فيه ، ونميّز بين ما نحن فى حاجة إليه وما نحن فى غنية عنه

هذه كلمة (سياسة) لا نستطيل معها مرادفها وهي كلمة (إيالة) فان إيالة الرعية وسياسة الرعية شىء واحد ؛ بل ربما كانت (الإيالة) أشهر من (السياسة) فى استعمال أهل اللسان الأولين: آل البلاد والرعية أَوْلاً وإيالةً ، وتأوّل البلاد (من التفعّل) ؛ ويقلبونها أحياناً فيقولون (تألّى) ومنه قول الشنفرى فى بيتيه المشهورين (وأمّ عيالٍ قد شهدت نفوسهم الخ)

وقد عنى بأم العيال رفيقه فى اللصوصية (تأبط شرا) إلى أن قال (أىّ أولٍ تألّت) أى أية سياسة مشؤومة ساستنا بها تلك الأم فى توزيع الزاد علينا

وقد يقال أيضاً إن فعل آل إيالةً أعرق نسباً وأشد أصالة فى المعنى المراد من فعل ساس سياسة

ذلك أن السياسة تستعمل حقيقة فى سياسة الدواب ، ومن سياسة الدواب نقلت إلى معنى سياسة الرعية ، بينما كلمة (إيالة) خاصة بسياسة الرعية وإدارة مصالح البشر ، ولكن هل يشفع كل هذا بها ، فترزق الحظ وتحيا بالاستعمال ، أو يتشاءمون بها ويهملونها إلى حين ؟

(يِزَّيْزَى) بكسر الباء وبزايين معجمتين أولاهما مشددة بينهما ياء ثم ألف مقصورة ، تقول العرب : (رجعت الامارة أو الرياسة يزيزى) أى ما عادت تؤخذ بالاستحقاق والكفاية بل بالقوة فمن عز وقوى عليها بزها وسلبها مستحقها . فكلمة (يزيزى) من فعل (بز) المأنوس والمشهور لاستعماله فى المثل السائر (من عز بز) أي من قوى سلب . فما أحوجنا إلى إحياء هذه الكلمة وما أكثر المقامات التى تعرض للكاتب أو الصحفى ويتفقد كلمة (يزيزى) فلا تخطر له

ولا أرى كلمة (فوضى) تسد مسد (يزيزى) إذ أن بينهما فرقاً لا يخفى على البصير

فهل يرضى كتابنا عنها ويفسحون لها المجال على أسلات أقلامهم ؟ أم يتأففون بها كما تأففوا بالايالة :

وكلمة (أبهل) ما رأى في إحيائها من رمسها ؟ يقال : أبهل الوالى رعيته إذا تركهم يفعلون ما شاؤوا . وكثيراً ما أصبح الأمر فوضى في أطراف المملكة أو في بعض بواديها بسبب عجز الحاكم أو بسبب سوء إيالته (أي إدارته) فهذه الحال هي الابهال تبهل الحكومة بلدا وتعجز عن ضبطه فتعم الفوضى فيه، ففعل (أبهل) من أجدر كلمات اللغة بالحياة وأولاها بالاستعمال

يقول قائل إننا نشعر بالاستغناء عن كلمة الابهال وتصاريفها ما دام لدينا تعابير أو جمل مركبة نستعملها مكانها

نعم ولكن إذا تدوولت واستعملت استجد في نفوسنا شعور وألفة لها : مثل كلمة (هيأة) في قولنا (هيأة المحكمة) و (هيأة كبار العلماء) ، فان كلمة رجال القضاء والقانون كادت تجمع على أنه لا تقوم مقامها كلمة سواها مع أن الحاكم والحكام كانوا في غنية عنها أكثر من ألف ومائتي سنة . وهذا كالسيارات والتليفونات في بلاد كمصر مثلا كانوا يعيشون من دونها، أما اليوم فلم تعد تستتب للناس حياة ولا يطيب لهم عيش إذا حصل إضراب وعطلت السيارات والتليفونات عن العمل

* * *

زارني بالأمس زائر كريم من كتاب الصحف وجرى بيننا ذكر الحاجة إلى أوضاع جديدة تقوم مقام تلك الأعجمية . فأجبته ما الفائدة من إجهاد أنفسنا في وضع كلمات عربية جديدة إذا كنتم تأنفون منها بسبب شيء من الغرابة أو الثقل تجدونه فيها فما أسهل إيجاد الأوضاع علينا. ولكن ما أصعب قبولها عليكم

قال : وما مثال ذلك؟ قلت: قد يكون للدولة جيش مختلط من وطنيين وغير وطنيين فهل تحاولون أن تطلق عليه اسماً كانت تعرفه العرب وهو (البريم) ؟ وأصل معنى البريم خيط ثخين يفتل من عدة خيوط مختلفة اللون . فالعرب منذ القدم سموا الجيش المتعدد الأجناس (بريماً) تشبيهاً له بالبريم أعني الخيط المذكور . فقال: ينبغي تبرل كلمة البريم لخفتها وإحكام وضعها. أما (البزيزى) و (الابهال) فلا . ثم أخذ يجادل ويحتج لنفسه بقول الأستاذ (أحمد أمين) وهو :

« إن علينا اليوم أن نختار الألفاظ التي تناسب العصر ويرضاها ذوق الجيل الحاضر »

قلت : وقال الأستاذ (عزام) ما ملخصه :

« إن علينا اليوم ألا نجعل الذوق حكما في اللغة لأنه يقتصر على المألوف من الكلمات ويعد ما عداه ثقيلا نابياً . وعلى الكاتب ألا يجعل نفسه أسيراً تتصرف به الأذواق الخاصة ، بل يستعلي فطرته فتملي عليه من الكلمات ما يلائم الذوق العام . الألفاظ أسبق من أن يتحكم فيها السوق وما إليه . الحاجة الملحة تنشئ الألفاظ . وهذه الحاجة لا تبالي بالأذواق ؛ فكم من كلمة أجنبية ثقيلة استعملها كتاب العرب وألفتها أذواقهم : كالبروبوغندا والأرستقراطية والميتافيزيقية الخ . وما دام هناك معان شديدة وجب أن يكون إزاءها ألفاظ شديدة، ولا مندوحة لنا عن استعمال تلك الألفاظ لمعانيها كما نستعمل الألفاظ اللينة لمعانيها أيضاً . ونكون في عملنا هذا أحراراً دون أن تأخذنا رحمة بالأذواق ، وكما يعالج لين الحضارة بالرياضات الخشنة القاسية ينبغي أن يعالج لين اللغات بالألفاظ الخشنة القاسية أحياناً . وإن حاجتنا اليوم إلى الابداع تسوّغ لنا أن نتخيّر من الألفاظ ما نشاء ثم نطبع ذوق الأمة على مشيئتنا هذه . وما أشد حاجتنا إلى كثير من الألفاظ الجديدة التي إذا استعملناها أعانتنا في الافصاح والابداع . نعم إذا كان للمعنى الواحد عدة ألفاظ حق للذوق أن يختار منها أحلاها وأرشقها لا أن يعمد إلى أصعبها وأثقلها فيؤثره على المألوف إغراباً وتنطعاً اهـ »

وقول الأستاذ عزام هذا يشبه ما قلته مراراً : من أن كلمات اللغة في المعاجم تحكي الأدوات المنزلية في المنازل : منها اللطيف المرهف الذي يُصفّف في محاريب الدار (صالونها) ، ومنها الضخم الجافي الذي يخبأ في أقبيتها وسراديبها ، ولكل أداة وظيفة لا تستعمل فيها الأداة الأخرى ؛ فللصديق الزائر متّكأ الحرير ومروحة الريش وأكواب السكر ؛ وللصّ الدار المراوة ويد المهراس ومشحوذ الخنجر

وشتان بين خشونة هذه ونعومة تلك ، كما أنه شتان بين كلمات (الجَعْظَرِيّ) و (الجَوّاظ) اللذين استعملها النبي (صلى الله عليه وسلم) فى قوله (أهل النار كل جَعْظَرِيّ جَوّاظ) وبين كلمات (كَيِّس فَطِن حَذِر) التى استعملها (صلى الله عليه وسلم) فى حديث (المؤمن كَيِّس فطن حذر)

وكلمة (ضوطار) من كلمات أو أدوات المعاجم القديمة ، فهل نستنقاها ونهجرها لثقالتها ؟ أم نُدَّخرها كما تدَّخر الحراوة للصّ فنختبأ (الضوطار) للرجل الذى ينزل ميدان السياسة ولا سلاح له يضمن له الفوز إلا الجهل والخرقة فنلقّبه بضوطار السياسة كما لقبه بذلك الشيخ جمال الدين أو الشيخ محمد عبده فى جريدتهما (العروة الوثقى)

* * *

جاء فى صحف الأخبار أن الطيار (فلان) حاول أن يبلغ بطيارته أعلى قمم جبل هملايا وهى قمة (أفرست) وبعد قيامه بما أخذه على نفسه ذكر أنه علا بطيارته فى الهواء اللائق والمحاذى لسفح الجبل عدة مئات من الأميال صعداً قبل أن يبلغ القمة المذكورة وقبل أن يبلغ الفضاء الذى فوقها . فالهواء المحاذى للجبل ماذا يسمى ؟ يسمى (نفنفاً) . فهذه الكلمة نحتاج إليها للتعبير عن الهواء الذى لا يكون مطلقاً فوق الجبال وإنما يكون محصوراً بينها ومحاذياً لسفوحها ، فلا مندوحة للطيارين عن استعمال كلمة (النفنف) فى لغة الطيران ومن استثقلها كان أثقل منها لعمرى .

يقول الطيار : ثم جاوزت النفنف وأصبحت فى الهواء المطلق فوق قمة (أفرست) فماذا نسمى هذا الهواء أو هذا الفضاء الذى طرت فيه ؟ نسميه (اللوح) ونقول له إن طيارتكم بلغت اللوح أو أخذت تسبح فى اللوح . و(اللوح) بضم اللام الهواء بين السماء والأرض .

يقول المتشائم بغريب اللغة : إن اللوح فيها غرابة فهل من كلمة غيرها تؤدى معناها ؟

نعم كلمة (سُمّهى) بضم السين وتشديد الميم وألف مقصورة فى الآخر .

فيقول : هـذه أشد غرابة من تلك وفيها ثقل ليس مثله فى كلمة (اللوح) فلنوطن أنفسنا إذن على قبول (اللوح) وصقلها بالاستعمال .

يقول الطيار إنه عاد فارتفع بطيارته إلى أسمى مناطق الهواء بحيث أصبح التنفس عسيراً عليه . فماذا نسمى الهواء ثمة ؟

نسميه (السُّكاك) بضم أوله ، وفسره علماء اللغة بالهواء الذى يلاقى عَنان السماء ، وفسروا (العنان) بالذى يبدو لك من السماء إذا نظرتها ، والذى تراه منها هو زرقتها ، والزرقة أقصى طبقات الهواء أو مناطق الهواء ، فى بادىء النظر ، فالسكاك إذن هو الذى يكون فى أعلى أو أقصى طبقة فى اللوح

فيحسن أن ندخل فى لغة الطيران هذه الكلمات الثلاث :

(النفنف) هو ما بين الجبال

(اللوح) هواء الفضاء بين السماء والأرض

(السكاك) هواء أعلى طبقات اللوح

ونكون أهملنا كلمة (السُّمهى) مستغنين عنها باللوح لثقالتها التى ينفر منها المتشائمون . ويطرب لها اللغويون المخصصون .

وحاصل القول أن كلمات المعاجم أدوات كأدوات المنازل : منها الضخم الثقيل ، ومنها المرهف الخفيف . فعلى الكاتب اللبق أن يستعمل كلاً فى محله اللائق به . وسلام

« دمشق الشام » المغربى

والإنسان يجنى عن السير الشباب . أما العثور على هذا السر الطبيعى فلم يكتشف الا حديثا بواسطة علم العلاج بالهرمونات الذى برع فيه وعلك قياده . بدون منازع . العلامة الأستاذ الدكتور ماجوريس الخبير المتخصص . فقد قدم جنابه لبنى الإنسان فى لولوتيس الوسيلة الطبيعية الوحيدة لحفظ قوى الشباب والوقاية من أمراض الشيخوخة المبكرة . ابتكار حديث : فى حالات سرعة القذف . يجب استعمال لولوتيس نمرة ٣ . ولأجل معرفة كل ما يختص بالأمور التناسلية يجب طلب الكتاب . الحياة الجديدة . الذى يرسل اليك نظيرة مجانية للنسخة الفرنسية أو الانجليزية المحمولة برسوم ذات ٥ آنات و٣ للنسخة العربية . أرسل المبلغ طوابع بريدية : جلاتهوريان ص ب ٢١٠٥ بمصر.